The city and its characteristics in the thought of al-Maqdisi

Asma Hamad Sultan Al-Fahdawi

hamadasmaa64@Gmail.com

Prof. Kamal Abdullah Hassan Al-Dulaimi, PHD

Khmal.abdullah@uoanbar.edu.iq

Anbar University / College of Arts

DOI: 10.31973/aj.v2i136.1319

Abstract:

the city represents one of the aspects of life that contributed to its building. Rather , the city is civilization , as both Bodlink and schengler see it , as civilization requires stability in order for a person to be liberated from the factors of volatility dispersion and the motives of anxiety , and all this is only done in the city , according to the Arabic linguistic dictionaries the city is the place in which it is established and which has fixed boundaries , and this meaning is matched by other expressions similar to it , which are maser , the present and the city , albeit to a lesser degree , and because the city has great importance in the Holy Qur'an and the noble hadiths of the prophet , Al-Maqdisi talked about it in detail in terms of meaning , distribution , classification , constituents and functions morphology and types of cities according to the functions they perform , the sizes of the cities , and the ways of differentiating between the village and the city . due to his extensive talk about medina, the Book of Best Taksim fi Knowing the Regions describes it as a study of human geography with distinction. Al-Maqdisi detailed in his discussion of the city several matters related to the position, location, extent, and land uses therein, as well as their size and spatial distribution. with dealing with customs, traditions, holidays and events. he also talked about building styles architecture, materials used in construction, street extension and directions, and areas between the city.

Keywords/ the city, al-maqdisi, Geographical thought

المدينة وخصائصها في فكر المقدسي

الباحثة أسماء حمد سلطان الفهداوي
جامعة الأنبار / كلية الآداب
hamadasmaa64@Gmail.com

أ. د. كمال عبد الله حسن الدليمي
جامعة الأنبار / كلية الآداب
Khmal.abdullah@uoanbar.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

تمثل المدينة أحد مظاهر الحياة التي اسهمت في بناءها ، بل إن المدينة هي الحضارة كما يراها كل من بودلنك وشينجلر، أذ تتطلب الحضارة الاستقرار لكي يتحرر المرء من عوامل التقلب والتشتت ودوافع القلق وكل هذا لا يتم إلا في المدينة، وبحسب المعاجم اللغوية العربية فأن المدينة هي المكان الذي يقام فيه والذي له حدود ثابته، وهذا المعنى يقابله تعبيرات اخرى مشابهة له وهي المصر والحاضرة والمدرة ولو بدرجة اقل، ولكون المدينة لها اهمية كبيرة في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة فقد تحدث عنها المقدسي بالتفصيل من حيث المعنى والتوزيع والتصنيف والمقومات والوظائف والمورفولوجية وانواع المدن بحسب الوظائف التي تؤديها وحجوم المدن وسبل التفريق بين القرية والمدينة . ولكثرة كلامه عن المدينة فأن كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم يصف بأنه دراسة في الجغرافية البشرية بامتياز. وقد فصّل المقدسي في تناوله للمدينة اموراً عدة تعلقت بالموضع والموقع والامتداد واستعمالات الارض فيها، فضلاً عن حجومها وتوزيعها المكاني. مع تناول العادات والتقاليد والاعياد والمناسبات. كما تحدث عن طرز البناء والعمارة والمواد المستخدمة في البناء وامتداد الشوارع واتجاهاتها والمساحات بين المدينة.

الكلمات المفتاحية: المدينة، المقدسي، الفكر الجغرافي

المقدمة:

يعد كتاب بالمقدسي واحداً من المصادر الجغرافية ، إذ يحتوي على معلومات مهمة وشاملة ترتبط بالحياة العامة في الاقاليم المختلفة التي زارها اثناء رحلته في العالم الإسلامي في (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) وقد قسم العالم الإسلامي الى (١٤) اقليماً، ست عربية وثمانية اعجمية، ثم اهتم بهذه الاقاليم وتفصيل ما فيها من شؤون، وبدأ بتقسيمها الاداري فقسمها الى كور ثم قصبات ثم مدن ثم نواحي ثم رساتيق ثم قرى، وقد فصل كل واحدة منها في جميع الاقاليم واجرى مقارنات فيما بينها، كما ركز على شروط قيام معظمها والاسس المعتمدة فيها، وكيفية التمييز بينها، واجرى مقارنات بين اقاليم الشرق والغرب وفق هذه التقسيمات، كما انه عالج مفهوم المساحة وامتدادها والمسافات المستخدمة وطرق قياسها

سواء (المرحلة، الفرسخ، الميل، الذراع) كما انه عرف العوامل التي ساعدت على بناء المدن وتخطيطها وتطورها وتصميمها من حيث الموقع والعناصر المعمارية فيها ، فضلاً عن العوامل التي ادت الى اضمحلالها ، كما انه اورد معلومات تفصيلية عن العمارة من حيث مواد البناء وعناصرها وتقسيماتها وطريقة تصميم الاسواق وحجومها والبيوت والافران والحصون من حيث درجة حصانتها ومكوناتها (نصار ، ٢٠٠٨ ، ص٤١) .

اولاً – مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث وفق الآتي: ما هو دور المقدسي في بيان خصائص وخطط المدينة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

ثانياً: فرضية البحث:

يمكن صياغة الفرضية وفق الآتي: للمقدسي دور كبير في دراسة خصائص وخطط المدينة العربية الإسلامية من حيث التوزيع المكاني والحجمي واستعمالات الارض.

ثالثاً: حدود البحث:

١ ــ الحدود الزمانية: متمثلة بالقرن الرابع الهجري ــ العاشر الميلادي وهو زمن حياة المقدسي.

٢ ــ الحدود المكانية: متمثلة بالحدود التي تشغلها المدينة العربية الإسلامية واماكن تواجدها في الاقاليم التي تشكل بمجموعها العالم الإسلامي (مملكة الإسلام) في القرن الرابع الهجري.

رابعاً: هدف البحث:

يهدف البحث الى بيان المدينة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري من حيث خططها وخصائصها والنسيج الداخلي لها ومورفولوجيتها من خلال كتاب المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم).

خامساً: منهج البحث:

تم اعتماد المنهج الاستقرائي ليكون منهجاً فكرياً يتم من خلاله تحديد البناء الفكري في سبيل سبر غور الموضوع من خلال استقراء النصوص الجغرافية، كما تم اعتماد المنهج الموضوعي ليكون منهجاً كتابياً معتمداً في كتابة البحث.

سادساً: هيكلية البحث:

قسم البحث الى مباحث ثلاث:

المبحث الأول: التوزيع المكاني للمدن عند المقدسي

المبحث الثاني: التوزيع الحجمي للمدن (المقدسي ونظرية الاماكن المركزية)

المبحث الثالث: التركيب الداخلي للمدينة العربية الإسلامية عند المقدسي

المبحث الأول: التوزيع المكاني للمدن عند المقدسي:

يقصد بالتوزيع المكاني موضع وموقع المدينة ضمن منطقة الدراسة والتي حددها المقدسي بالعالم الإسلامي (مملكة الإسلام) في القرن الرابع الهجري والتي تمتد من حدود الصين الغربية شرقاً حتى المحيط الاطلسي في الغرب، ومن الصقالبة شمال البحر الاسود شمالاً حتى بلاد النوبة جنوب السودان جنوباً، وقد قسمها المقدسي الى (١٤) اقليماً وباديتين، ستة عربية وثمانية اعجمية فضلاً عن مفازة فارس وبادية العرب (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٥). وفي تقسيمه هذا بيّن اسلوب التنظيم الاداري في الاقاليم والتي اعتمد بعضها حدوداً لأقاليمه، وقد عُرفت معاجم المصطلحات والمعاجم الجغرافية الاقليم بأنه اللواء والمقاطعة تنشأه الدولة لأغراض ادارية او سياسية او اقتصادية يشرف على ادارته مجلس اقليمي، وكل اقليم يتميز عمن سواه من مناطق اخرى بظاهرة او عدة ظواهر وخصائص معينة تبرز وحدتها تبعاً لذلك الاساس او المنهج (توني، ١٩٩٤، ص٣٨). وقد قسّم العالم الى اربعة عشر اقليماً ستة عربية وهي جزيرة العرب، العراق، اقور، الشام، مصر، والمغرب، وثمانية اعجمية وهي المشرق، الديلم، الرحاب، الجبال، خوزستان، فارس، كرمان، والسند (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٤٦– ٤٧). واعتمد على اسس مختلفة دينية وادارية ولغوية وبيئية، فأخذ بالعنصر الديني واللغوي للفصل بين العالم الإسلامي او مملكة الإسلام والعالم غير الإسلامي او اقاليم الكفار (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٥). وقد فصل بين اجزاء الاقليم الواحد او تقسيم كل اقليم الى كور والكور الى قصبات والقصبات الى مدن عن طريق العنصر الاداري او السياسي (نصار، ٢٠٠٨، ص٤٢). كما تحدث عن القوى السياسية المسيطرة على كور هذه الاقاليم، فإقليم جزيرة العرب، حكم صاحب مصر ناحية الحجاز منه، وحكم ال قحطان منطقة الجبل وال زياد اليمن، وسيطر الديلم على اليمن، فضلاً على انه ميز بيئات كور الاقليم الواحد مثل الجبال والسهول والاغوار، فذكر ان منطقة الحولة في اقليم الشام غور، بينما صور وصيدا مدينتان ساحليتان، اما القدس فإنها تقع على سفح جبل (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٠٢– ١٤٢). وقد جاءت تقسيماته الادارية كما يلي: (خريطة ١)

أ – الاقاليم العربية:

١ – إقليم جزيرة العرب: هذا الاقليم يمتد كما في كتب الجغرافية مثل كتاب البغدادي وياقوت الحموي من اقصى عدن الى أبين الى أطراف الشام، وعرضه من جدة الى ريف العراق، وانقسم عند الجغرافيين الى خمسة اقسام هي الحجاز، تهامة، اليمن، نجد، والعروض (ياقوت الحموي، ج ٢، ١٩٩٣، ص١٥٩). اما المقدسي فقسمه الى أربع كور جليلة وأربع نواحٍ نفيسة، فالكور هي الحجاز، اليمن، عمان، وحجر، والنواحي هي الاحقاف، الشحر، اليمامة، والقرح (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٨٢). وهو بذلك يختلف عن ابن حوقل الذي قسم

إقليم الحجاز الى نجد، الحجاز، بادية العراق، بادية الجزيرة، بادية الشام، واليمن (النصيبي، ١٩٨٠، ٢٩).

خريطة (١) اقاليم العالم الإسلامي

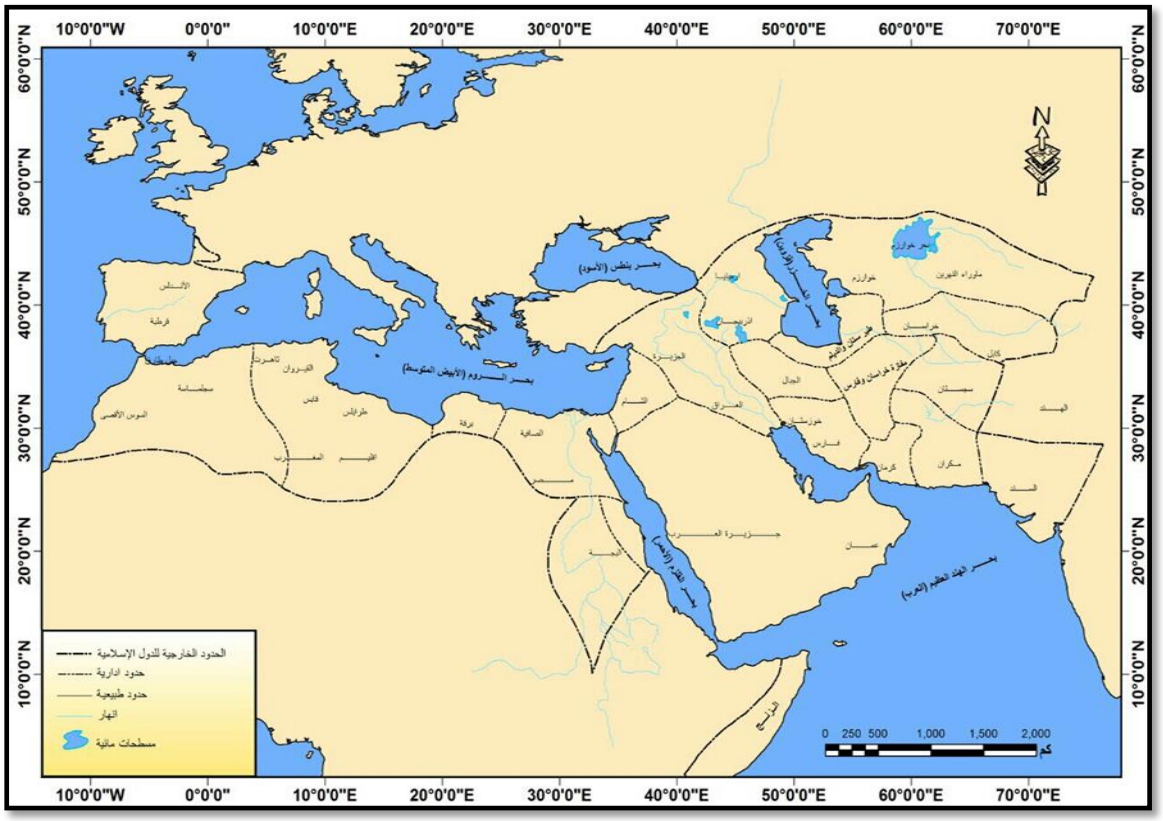

المصدر: احمد سوسة، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، الجزء ١، نقابة المهندسين العراقيين، مكتبة صبري، بغداد، ١٩٧٤، ص١٠٧.

٢ – **إقليم العراق:** هذا الاقليم يمتد عند الجغرافيين من ناحية حديثة الموصل الى عبادان طولاً، ومن عذيب القادسية الى حلوان عرضاً (ياقوت الحموي، ج ٢، ١٩٩٣، ص٩٤). اما المقدسي فقد جعله ست كور وناحية، فالكور قديماً غير هذه إلا حلوان، وادخل الكور القديمة والقصبات في الاجناد فأولها من ناحية ديار العرب (الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وحلوان ثم سامراء) (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٠٦). بينما ابن خرداذبه فقد جعله اثني عشر كورة (ابن خرداذبه، ١٩٨٩، ص٥).

٣ – **إقليم اقور:** هذا الاقليم يقع بين دجلة والفرات مجاوراً للشام ويشتمل على مضر وديار بكر، ومن أشهر مدنه حران، الرها، الرقة، سنجار، نصيبين، الموصل، الخابور، آمد (ياقوت الحموي، ج ٢، ١٩٩٣، ص١٥٦). والمقدسي جعله ثلاث كور هي ديار مضر، ديار ربيعة، ديار بكر، وبه أربع نواحٍ (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٢٥).

٤ – **إقليم الشام:** هذا الاقليم يمتد طولاً من الفرات حتى العريش*، وعرضاً من جبل طيء الى بحر الروم، ومن أشهر مدنه: حلب، منبج، حمص، حماة، بيت المقدس، سواحل

دمشق، وصور، وهو ستة اجناد: حمص، جند قنسرين، الاردن، دمشق، الشراة، وفلسطين (ياقوت الحموي، ج ٣، ١٩٩٣، ص٣١١ – ٣١٢). ومن ناحية اقور ست كور هي: حمص، قنسرين، الاردن، دمشق، الشراة، وفلسطين (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٦٣). اما ابن حوقل فقد قسمه الى اجناد هي: جند فلسطين وهو اول اجناد الشام ومدينته الرملة، جند دمشق ومدينته دمشق، وجند الاردن ومدينته طبرية، وجند حمص ومدينته حمص، وجند قنسرين ومدينته حلب (النصيبي، ١٩٨٠، ١٥٤).

٥ – إقليم مصر: قسمه المقدسي الى سبع كور اولها من ناحية الشام الجفار، الريف، الحوف، الاسكندرية، الصعيد، مقدونية، والواحات، ومن مدنها البَقارَة، مشتول، شُبرو، الرشيد، العزيزية، حلوان (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٦٣– ١٦٤).

٦ – إقليم المغرب: تبدأ حدود هذا الاقليم عند الجغرافيين من اخر حدود افريقية عند مدينة مليانة الى اخر جبال السوس وتدخل فيه جزيرة الاندلس (البكري، ج ٤، ١٩٨٣، ص١٢٤٨). وقد قسمه المقدسي الى تسع كور هي (افريقية، برقة، سجلماسة، تاهرت، اصقلية، الاندلس، السوس الاقصى، فاس)، فضلاً عن ناحيتين تابعة لفاس هما الزاب وطنجة (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٧٩). لذلك فهو يختلف عن ابن حوقل الذي حدده بالمساحة الممتدة على ساحل البحر المتوسط من برقة الى افريقية وناحيتي تنيس الى سبته وطنجة، وجعل الاندلس من المغرب (النصيبي، ١٩٨٠، ص٦٤).

ب – اقاليم العجم:

جعلها المقدسي واحداً ذو جانبين يفصل بينها نهر جيحون*، اذ نسب كل جانب منهما الى الشخص الذي خطه وبناه وهما ابنا عالم بن نوح: هيطل وخراسان، لذلك يسمى أحدهما جانب هيطل وثانيهما جانب خراسان (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢٠٩– ٢١٠). وقسم جانب هيطل الى ست كور هي: اسبيجاب، فرغانة، اشروسنة، الشاش، بخارى، والصغد، والنواحِ هما ايلاف، كش، الصغانيان، ونسف (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١١١– ١١٢). اما جانب خراسان فتبدأ حدوده عند الجغرافيين مما يلي العراق، ازاذورد قصبة بيهق وجوين واخر حدوده مما يلي الهند، سجستان، غزنه (البكري، ج ٢، ١٩٨٣، ص٤٨٩). فالمقدسي قسمه الى تسع كور وثمان نواحٍ، فالكور هي: غزنين، بلخ، سجستان، بست، جوزجانان، هراة، قوهستان، مرو الشاهجان، ونيسابور، اما النواحي فهي: غرجستان، بوشنج، مرو الروذ، باميان، طخارستان، رستات، كمج، اسفزاز (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢٣٢– ٢٣٣). اما مدنه فهي: مرو، هراة، الطالقان، بلخ، ابيورد، نسا، وسرخس (البكري، ج ٢، ١٩٨٣، ص٤٨٩). وقد ذكر المقدسي بأن ابا زيد البلخي جعل المشرق ثلاثة اقاليم هي: سجستان، خراسان، وبلاد ما وراء النهر (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢٠٩).

١ – **إقليم الديلم:** قسمه المقدسي الى خمس كور هي: جرجان، قومس، الديلمان، طبرستان، الخزر، وتتوسط هذه الكور البحيرة ما عدا قومس فإنها متعادلة في الجبال متوسطة بين الري وخراسان وقد تفصل كورة طبرستان بينها وبين البحيرة (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢٦٧).

٢ – **إقليم الرحاب:** بحسب كتب الجغرافية فإن حدود هذا الاقليم تشمل ناحية دربند، اذربيجان، وأكثر ارمينية (ياقوت الحموي، ج ٣، ١٩٩٣، ص٣١). وقسمه المقدسي الى ثلاث كور هي: ارمينية، اذربيجان، الران (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢٨١).

٣ – **إقليم الجبال:** حدوده تمتد عند الجغرافيين ما بين اصفهان الى زنجان، همذان، قزوين، قرمسين، الدينور، الري، وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور (البغدادي، ج ١، ١٩٥٤، ص٣٠٩). فالمقدسي قسمه الى ثلاث كور وسبع نواحٍ، واول هذه الكور من ناحية الرحاب تشمل: همذان، الري، اصفهان، اما النواحي فتشمل: الصيمرة، قم، قاشان، البصرة، كرج ماه الكوفة، شهرزور (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢٩٠).

٤ – **إقليم خوزستان:** تمتد حدوده عند الجغرافيين من نواحي الاهواز بين واسط وفارس والبصرة الى جبال اللوز المجاورة لأستان واصبهان (ياقوت الحموي، ج ٢، ١٩٩٣، ص٤٦٠). اما المقدسي فقد قسمه الى سبع كور من ناحية الجبال وهي: جنديسابور، السوس، عسكر، تستر، رام هرمز، الاهواز، والدورق (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٣٠٢).

٥ – **إقليم فارس:** حدوده تبدأ من ناحية العراق من ارجان ومن جهة كرمان من السيرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند من سيراز، ومن جهة السند من مكران ومن عاصمتها شيراز، ومن كورها اردشيرخرة، اصطخر، درابجرد، وسابور (ياقوت الحموي، ج ٣، ١٩٩٣، ص٢٢٦). وقسمه الى ست كور وثلاث نواحٍ، فالكور هي: اردشيرخرة، ارجان، درابجرد، سابور، شيراز، واصطخر، والنواحي هي: تبريز، الروذان، وخسو (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٣١٣).

٦ – **إقليم كرمان:** حدوده تمتد بين فارس، سجستان، مكران، وخراسان، شرقها مكران ومفازة ما بين مكران والبحرين من وراء البلوص، اما غربها ارض فارس، وفي الشمال مفازة خراسان، وسجستان، وفي الجنوب بحر فارس (ياقوت الحموي، ج ٤، ١٩٩٣، ص٤٥٤). وقسمه المقدسي الى خمس كور وناحية واحدة، فالكور هي: نرماسير، بردسير، وبم، وجيفرت، والسيرجان، والناحية هي: خبيص (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٣٤٤).

٧ – **إقليم السند:** حدوده تمتد بين الهند وكرمان وسجستان التي عاصمتها المنصورة (ياقوت الحموي، ج ٣، ١٩٩٣، ص٢٦٧). وقسمه المقدسي الى خمس كور واضاف عليها مكران لأنها بقربه، وتوصل الاقاليم بعضها ببعض، والكور هي من ناحية كرمان تشمل: طوران، مكران، قنوج، ويهند، والملتان (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٣٤٤). وهذا التقسيم يختلف عن تقسيم

ابن حوقل الذي ذكر ناحية مكران، نواحي البدهة، معدن الهند، وناحية طوران (النصيبي، ١٩٨٠، ص٢٧٤).

٨ – إقليم المشرق وهو جانبان يفصل بينهما نهر جيحون

أ – جانب هيطل او ما وراء النهر، ست كور هي فرغانة واسبيجاب واشروسنة والشاش والصغد وبخارى وقصباتها على التوالي اخسيكت واسبيجاب وبنجكث وبكث وسمرقند ونموجكث.

ب – جانب خراسان، تسع كور هي بلخ وطخارستان وغزنين وبت وسجستان وهراة وجوزجان ومرو الشاهجان ونيسابور وقصباتها بلخ وطخارستان وغزنين وبست وزرنج وهراة واليهودية ومرو الشاهجان وايرانشهر على التوالي (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢١١– ٢١٢).

المبحث الثاني: التوزيع الحجمي للمدن (المقدسي ونظرية الاماكن المركزية):

في عام ١٩٣٣ وضع الجغرافي الالماني (والتر كرستالر) نظريته عن الاماكن المركزية بعد ان قام بدراسات تطبيقية عديدة على الجزء الجنوبي من المانيا، وقام بنشر كتابه المشهور ((Die zentrallen wrote in sudden schland وقد ترجمه الى الانكليزية باسكن عام ١٩٦٦ (الدليمي، والعبيدي، ١٩٩٠، ص٦١٨). وتتلخص النظرية بأن اي مدينة تكون مركزاً للمنطقة التي تحيط بها او بإقليمها سواء من حيث تقديمها للبضائع او الخدمات مقابل الاستفادة من انتاجها ، اذ تتوسط هذه المنطقة لذلك تسمى تلك المدينة (المكان المركزي)، وتقاس درجة مركزية هذه المدينة بمدى تقديمها للخدمات والبضائع لمنطقة التأثير او الاقليم، لذلك سوف تتسع مساحة اقليم المدينة وترتفع درجة السيطرة والمرتبة بين نظام المدن في المنطقة كلما ازدادت مركزية المدينة ، وعلى اساس ذلك تصنف الاماكن المركزية على اساس مركزيتها وحجمها الى مستويات او مراتب وهي عند كرستالر (٧ مستويات) تكون على شكل هرمي يبدأ من القرى الصغيرة وينتهي بالمدن الكبيرة ، وقد بني هذا الهرم على اساس عدد سكان المدينة وحجمها، وقد وجد بأن سعة الاقليم الذي اطلق عليه بالإقليم المكمل تتناسب طردياً مع حجم المكان المركزي او مرتبة المدينة في النظام الهرمي ، وقد كانت النظرية في بدايتها تعتمد شكل الدائرة لأن الدائرة تعد اكمل الاشكال ، لكن كرستالر اضطر نتيجة لوجود الفراغات بين الدوائر الى تعديل الشكل السداسي للإقليم من اجل التخلص من الفراغات لكون الشكل السداسي لا يترك منطقة من الاقليم لا تصلها البضائع (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٧٢). ويؤكد احد الباحثين بأن المقدسي هو الذي وضع اسس نظرية الاماكن المركزية على الرغم من ان الملامح الاساسية لنظرية كرستالر تناقش موضوعاً مختلفاً عما ذهب اليه المقدسي ، وقد نجد تشابهاً كبيراً بين نظرية كرستالر ونظرية المقدسي حول المدن، اذ ذكر (كرستالر) بأن عدد مواقع الرتب العليا اقل من مواقع الرتب

الدنيا واكثر تباعداً ، وينطبق الشيء نفسه عند المقدسي اذ يقل عدد القصبات (وهي من الرتب العليا) عن عدد القرى (وهي من الرتب الدنيا) في كل اقليم ، كما تزيد المسافة بين قصبة واخرى على المسافة التي تبعد بين قرية واخرى في الاقاليم ولا سيما تلك التي تقع بين كورة واحدة (المياح ، ١٩٨٩ ، ص٢٥٠) . وقد جعل المقدسي المراتب السكنية أربع مراتب وهذا يتفق مع مراتب كرستالر على الرغم من انها سبع مراتب، لكن بعد تطبيق النظرية من قبل عدد من العلماء الذين عاصروا كرستالر او جاءوا بعده اثبتت انه عند التطبيق لا تظهر سوى أربع مراتب (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٧٣).

جدول (١) مراتب السكن عند المقدسي وكرستالر

المراتب عند المقدسي	ما يقابلها عند كرستالر
الامصار	المدن
القصبات	البلدات
المدن الاقليمية	القرى
القرى	الضيعات

المصدر: كمال عبد الله حسن الدليمي، اصالة الجغرافية الاقليمية عند المقدسي، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص١٧٤.

وقد وضع هذا التسلسل لحجم المراتب نتيجة لتوسع الرقعة الجغرافية وعدد السكان، وقد ظهر لدى المقدسي نتيجة لذلك الاعداد الاتية لحجوم المراتب:

١ – مدن المرتبة الاولى وعددها ١٧ مدينة وتمثل الامصار.

٢ – مدن المرتبة الثانية وعددها ٧٧ مدينة وتمثل القصبات.

٣ – مدن المرتبة الثالثة وعددها ١٦٠٠ مدينة وتمثل المدن الاقليمية.

٤ – مدن المرتبة الرابعة وعددها بالآلاف وتمثل القرى.

وعند مقارنة فكرة المقدسي مع مخطط نظرية الاماكن المركزية نجد تشابهاً كبيراً بينهما (المياح، ١٩٨٩، ص٢٥٠). وقد نجد ان التوزيع الحجمي للمدن عند المقدسي قد اتخذ منحنى مهماً وهو انه اغلب هذه المدن كانت تتميز بوظائف محددة او معينة فأصبح التوزيع الحجمي يحمل في مضمونه توزيعاً وظيفياً، وهذا التوزيع ادى الى التمييز بين مراتب المدن او المستقرات البشرية لديه، وكما يأتي:

١ – **المدينة المصر**: توجد عدة مفاهيم عند المقدسي للمصر تتفق مع ما اوردته كتب الجغرافية واللغة، فهو الحد والحاجز بين مدينتين مثل البصرة والكوفة، وهو كل بلد اقام فيه السلطان الاعظم، وتأسست فيه الدواوين، ونفذت فيه الحدود، وتوطنت فيه الاعمال والنشاطات المختلفة، وأشرف على مدن الاقليم مثل القيروان ودمشق، والمصر عند العوام كل بلد جليل مثل الموصل والرملة (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٤٤– ٤٦). والمصر عند

المقدسي ان يكون عاصمة للإقليم، فإقليم جزيرة العرب له عاصمتان مكة وزبيد، وبغداد عاصمة اقليم العراق، وقد عدّد امصار الاقاليم الإسلامية العربية، وقد شبهها بالملوك (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٤٤- ٤٧). وتتصف الامصار بأتساع الرقعة الجغرافية ولا يشترط ان يكون ذلك في القصبات، اذ قد تكون المدينة القصبة صغيرة او كبيرة المهم انها تحوي السلطان ومحل اقامته مع وجود الجامع (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٧٥). ومن اهم الامثلة على الامصار هي الفسطاط اذ يقول عنها " مصر في كل قول لأنه قد جمع الدواوين، وحوى امير المؤمنين، وفصل بين المغرب وديار العرب، واتسع بقعته، وكثر ناسه، وتنضر اقليمه، واشتهر اسمه، وجل قدره، فهو مِصر).، وناسخ بغداد، مفخر الاسلام، ومتجر الانام، واجّل من مدينة السلام، خزانة المغرب ومطرح المشرق، وعامر الموسم، ليس في الامصار آهل منه، كثير الأجلة والمشايخ، عجيب المتاجر والخصائص، حسن الاسواق والمعايش الى حماماته المنتهى (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٦٥). اما القصبات فيقول " بروان قصبة كورة الديلم في اقليم الديلم صغيرة لا سرية ولا جليلة ولا ظرف ولا شريفة، ولا منازه طيبة لفيفة، ولا منازل رشيقة انيقة، ولا اسواقها بالواسعة العطيفة، ولا بلدانها كبيرة ظريفة، ولا جوامع، بل في قرى كفيفة، غير انهم في جلادة عجيبة ومنبع العساكر الاليفة، وحيث مستقر السلطان يسمى شهرستان قد حُفر ثم بئر الى اسفلها فيها اموالهم وآلاتهم " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢٧١).

٢ – **المدينة الرستاق:** يعرف الرستاق في المعاجم اللغوية بأنه السواد، موضع المزارع، ولا يطلق على المدن مثل البصرة وبغداد، وهو عند الفرس بمنزلة السواد عند اهل بغداد (الرازي، ١٩٨١، ص٢٤٢). وهي عند المقدسي المنطقة الزراعية التي تعتمد في قيامها على ما يوفره الاقليم المساند من امكانات زراعية، اذ تتميز بتربتها الجيدة ورساتيقها الواسعة ومياهها الوفيرة، لذلك غلب عليها الطابع الزراعي واشتغل أكثر اهلها بالزراعة (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٧٥- ١٧٦). ومن امثلتها الرملة في اقليم الشام " بهية حسنة البناء ، خفيفة الماء ، مرية واسعة الفواكه جامعة الاضداد بين رساتيق جليلة ومدن سرية ومشاهد فاضلة وقرى نفيسة والتجارة فيها مفيدة ، والمعايش حسنة ، ليس في الاسلام ابهى من جامعها ولا احسن ولا اطيب من حواريها ولا ابرك من كورتها ولا الذ من فواكهها ، موضوعة بين رساتيق زكية ومدن محيطة ورباطات فاضلة ، ذات فنادق رشيقة وحمامات انيقة واطعمة نظيفة وإدامات كثيرة ومنازل فسيحة ومساجد حسنة ، وشوارع واسعة ، وامور جامعة ، قد خطت في السهل ، وقربت من الجبل والبحر ، وجمعت التين والنخل ، وانبتت الزروع على البعل ، وحوت الخيرات والفضل " (المقدسي ، ٢٠٠٣ ، ص١٤٤) .

٣ – **مدن الثغور**: أطلق العرب المسلمون على الجبهة البرية للخلافة العربية الإسلامية المتاخمة لإراضي الدولة البيزنطية من اسيا الصغرى مع شمال بلاد فارس تسمية الثغور، والثغر " كل فرجة في جبل او في طريق مسلوك او بطن وادٍ " (ابن منظور، ج ١٣، ١٩٨١، ص١٠٣). اي الموضع القريب من ارض العدو ويكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار وهو موضع المخافة من أطراف البلاد، كما إنها مدن تقع على الحدود في اماكن سوقية مناسبة تجمعت فيها قوات ضاربة (المياح، ١٩٨٩، ص٢٤١). وتتمثل الحدود السوقية بالنسبة لمملكة الإسلام في جبهتين الاولى الجبهة الشرقية وتضم كلاً من الجزء الجنوبي متمثلاً بسواحل كل من كرمان وخوزستان والسند وفارس ، والشمالية متمثلة بحدود اقاليم المشرق الشمالية المجاورة للغُز والترك والكيماك، وهي قبائل بربرية في اواسط اسيا، والجبهة الثانية مقابل الصقالبة والروم مثل مدن شمال وشمال غرب وغرب اقاليم اقور والرحاب ومصر والشام والمغرب، إذ ان هؤلاء كانوا يشكلون خطراً على مملكة الإسلام والإسلام مما اجبر المسلمون على عمل الثغور لتكون بمثابة انذار ورصد للعدو الى ان تصل الامدادات لكون هذه المناطق بعيدة عن مركز الخلافة الإسلامية (الدليمي، ٢٠٠٦ ، ص١٧٦– ١٧٧) . ويتدرج ضمن المصطلح كل من الحصون والعواصم والقهندزات والقلاع إذ ان الهدف الرئيسي من كل هؤلاء هو صد العدوان وتأمين الحماية (مصطفى، ج ١، ١٩٨٨، ص٤٦٤). واما الحصون فكانت تحتوي على كل من القهندزات والقلاع، فتكون المدن هي حصون مثل فسا وزرنج من مدن المشرق، او تكون المدن داخل الحصن مثل تنس وتوزر في إقليم المغرب (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٧٧). ومن امثلة مدن الثغور في إقليم المشرق – جانب هيطل اسبيجاب " قصبة خطيرة لها ربض، ومدينة عامرة لها أربع رابطات، وهي رباط النخشبيين، رباط النجارين، رباط السمرقنديين، رباط قرانكين، وثم قبره، وسوق قد اوقفه، غلته في كل شهر سبعة الاف درهم، يجري على الضعفاء الخير والادام، ويقال ان بها الفاً وسبعمائة رباط، وهي ثغر جليل ودار جهاد، وعلى ربضها حصن، وبها قهندز خرب، لا يعرفون القحط " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢١٦– ٢١٧).

٤ – **الناحية**: عُرفت الناحية بأنها أصغر قسم اداري يشتمل على قرية او مجموعة من القرى، ويتبع هذه القرى مزارع (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا، ص٦٠). وهي الوحدة الادارية الاصغر من الكورة، التي يوجد فيها مجموعة من المدن تشكل بدورها دوراً اساسياً من التقسيم الاداري للإقليم، كما فعل المقدسي بإقليم جزيرة العرب الذي قسمه الى أربع نواحٍ وأربع كور (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٨٢– ٨٣). فالمقدسي اهتم ببيئة هذه النواحي ومواقعها سواء ان كانت بحرية او برية، فوصف ناحية طنجة في إقليم المغرب بأنها بحرية وبرية في وقت واحد (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٨٦).

٥ – **القريـة:** في كتب اللغة والجغرافية تعد القرية هي البلدة الاصغر من المدينة، اذ ان سكانها يغلب عليهم الفلاحة ورعاية المواشي، وقد يوجد فيها الابنية والمساكن والضياع (ابن منظور، ج ١٥، ١٩٩٩، ص١٧٧). والقرية عند المقدسي الوحدة الادارية الاصغر من الناحية، تتميز بالمزارع والخضرة، قال عن مدينة عرفة في إقليم جزيرة العرب " عرفة فيها مزارع وخضر ومطابخ، وبها دور حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة، وهذه القرى تشتهر بكثرة مياهها ومزارعها من غير مساكن وديار " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٨٦– ٩٠).

٦ – **المدينة الفرضة (الميناء):** لما تمكن العرب من السيطرة على التجارة البرية والبحرية وفرض السيادة على طرق النقل البحرية في البحر المتوسط والمحيط الهندي وطرق النقل البرية في الجزيرة العربية واسيا الوسطى والمغرب العربي ادى ذلك الى حركة تجارية واسعة في السلع المصدرة والمستورة، وتطلب ذلك انشاء موانئ كبيرة لاستقبال وتصدير هذه البضائع، وخصوصاً إذا كانت هذه الرحلة تستغرق ستة أشهر او عامين، مثلاً الرحلة الى الصين التي تستغرق عامين ذهاباً وايابا (الفيل، ١٩٧٩، ص٢٨). وان التجار كانوا يبقون فترة طويلة في كل محطة والتي هي الميناء لكون الرحلة تعتمد على حركة الرياح الموسمية والتيارات البحرية، فالمقدسي سميَّ هذه المدن اسم الفرضة او الميناء لكونها تطل على البحر وهي مكان الانفتاح على العالم، وهذه المدن تكون محصنة احياناً لدرء الخطر والدفاع عنها إذا ما اقتضت الحاجة الى ذلك، فضلاً عن كونها مجهزة لأغراض التجارة (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٧٩).

المبحث الثالث: التركيب الداخلي للمدينة العربية الإسلامية عند المقدسي:

تمتاز المدينة العربية الإسلامية بخصائصها المتصلة بالجذور الثقافية التي تحيط بها وتكونها، وكذلك توجد بها بعض الصفات التي تميزها عن غيرها من مدن الحضارات الاخرى، سواء من حيث التركيب الداخلي لها او مورفولوجيتها، فضلاً عن الصفات الاخرى كالتركيب الداخلي للسكان والاجتماعي والثقافي والسياسي والديني (مصطفى، ج ١، ١٩٨٨، ص١٤). لكن ذلك لا يعني بأن المدن الإسلامية نشأت من تلقاء نفسها، بل إنها اخذت بعض الامور من الحضارات الاخرى، ولكن ضمن حدود معينة، لكن بعض المستشرقين حاولوا ان يلفتوا الانظار إليهم بقولهم بأن المدينة العربية انما هي مقلدة للحضارات الرومانية واليونانية، فقد ارادوا من ذلك تجريد المدينة العربية من اصالتها، رغم ان المدينة العربية الإسلامية كان لها كيانها الخاص المأخوذ من روافد اساسية انضجتها وشكلتها وهي الروافد الدينية والحضارية والمناخية (الدليمي، ٢٠٠٦، ١٦٤).

استعمالات الارض في المدينة العربية الإسلامية:

تشترك المدن العربية الإسلامية في عامل حضاري مهم وهو الدين الإسلامي ولذلك لا يمكن تحديد مفهوم الحضارة في المدن العربية من دون ربطها بالحضارة الإسلامية، التي حددت الاشكال الرئيسية لمعالم المدينة العربية الإسلامية، إذ انها ابرزت المساجد وتمكنت من تحديد المساحة التي تحيط بها وبلورت نوعية الاتصال بين الجنسين، وحددت نوعية تصرف المجتمع بالنسبة الى التعاليم الدينية، وأدى ذلك الى تشكيل الابعاد الفيزيائية سواء للمسجد او المدينة بشكلها العام (سحاب، ٢٠١٥، ص٤٢٥). وقد تطورت المدينة العربية اثناء العصور الإسلامية رغم اختلاف مواقعها ووظائفها ومناخها واشكال مبانيها وثقافات اهلها عن طريق عناصرها العمرانية المختلفة التي تكاد تكون ثابتة، وقد عبرت تلك العناصر تعبيراً صادقاً عن المجتمع واحتياجاته والتي تمثلت بالمساجد، دار الامارة، السكن، شبكة الشوارع، والخدمات العامة الاخرى (المدفعي، ١٩٨٦، ص٦٣). وقد ركز الجغرافيون في حديثهم عن المدن الإسلامية على نوعين من الخصائص الواجب تواجدها وهذه الخصائص هي:

أ – الخصائص الخاصة

١ – وفرة الانتاج الزراعي والصناعي، اذ أكد الجغرافيون في خصائص المدينة بوجود المسجد الجامع وتوافر الاسواق والكثافة السكانية ووفرة الانتاج الزراعي والصناعي.

٢ – التركيز على الخصائص المطلوبة في مدن الاسواق التجارية او المرافئ والموانئ او المدينة الفرضية وتتمثل بالخصائص التجارية والتسهيلات الملاحية للسفن التجارية مثل كثرة الحمامات والاسواق والفنادق والمسجد الجامع والمياه.

٣ – يجب ان تتوافر في المدن خصائص السور الحصين متين البناء وكذلك ابراز دور القلعة وفوائدها للمدينة.

٤ – وجود السلطان وهو هنا الامير او الخليفة، ويكون مهمته تولي شؤون الرعية والبلاد وقيادة الجيوش والدفاع عنها، مثل دار الامارة التي تنفذ منها امور الاقليم وتقلد منها الاعمال (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٦٠).

ب – الخصائص العامة: وهي الخصائص التي يتواجد بعض منها او كلها في جميع المدن العربية سواء ان كانت امصاراً ام قصبات او قرى، وعن طريق هذه الخصائص يتم تمييز كل مدينة عن الاخرى وهي:

١ – **المسجد او الجامع:** ان كلمة مسجد من الجذر (س– ج– د) وهي مأخوذة من اللغة الآرامية، وتعني حرفياً الارتماء اجلالاً، وتعني مكان العبادة او مكان التعبد في اللغة النبطية RGIBB، (and Kramer's , 1974 , p.392) . اذ لا يتوسطها من الناحية العمرانية

فقط بل يتوسط الفكر الديني الإسلامي كله باعتباره قطبها الاول، وكذلك مثال للسلطة الرسمية الحاكمة في المدينة، وباعتباره المركز القضائي والسياسي والثقافي لها على اساس الوظائف التي يقوم بها (مصطفى، ج ١، ١٩٨٨، ص١٨٥- ١٨٦). ومنذ خروج العرب المسلمون من الجزيرة العربية انشغلوا في ممارسة الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه، وتقف على رأس هذه المهمات الاساسية الصلاة والصلاة الجامعة على وجه الخصوص، فعندما يسكنون في موضع كان تفكيرهم يتركز مباشرةً بتأسيس المسجد الجامع ومكان الصلاة الجامعة، فقد كان للمسجد في نفوس المسلمين مكانة مقدسة (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١١٣). وكان الهدف الاساسي من بناء المسجد هو من اجل التقرب الى الله سبحانه وتعالى واتباع سنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، اما فيما بعد فأصبح بناء المساجد في بعض الاحيان يمثل تخليد الذكرى او حب الشهرة او الاسباب السياسية، اذ ان بناء المساجد ووجود اسم الخليفة عليه في المدينة او الاقليم يمثل الاعتراف بسيطرته على ذلك الاقليم (الخفاجي، ١٩٩٥، ص١٣٤). ولهذا نجد المقدسي يبتدأ دائماً في وصف المدن بذكر المسجد او الجامع وذلك لأهمية المسجد العظيمة من حيث الموقع والعمارة والزخرفة والسعة والنظافة والقضاء ومجالس العلم والشعائر الدينية التي تقام فيه، فضلاً عن كونه دار للعبادة، كما انه يمثل المركز الثقافي والسياسي في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويقام فيه القضاء والقصاص من الظالم ونصرة المظلوم، وفيه تقام المدارس الدينية وتعقد مجالس العلم والفقه (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٦٦). ويقدر المقدسي عدد المساجد بحدود ٢٥٠٠ مسجد غير ان هذا الرقم قد لا يكون دقيقاً بإعتبار وجود ١٦٠٠ مدينة ذكرها المقدسي وفيها جامع او اثنين او ثلاثة، غير ان هذا العدد قد يكون للمدن الكبار فقط والتي تعقد فيها صلاة الجمعة، فالرقم الذي قدمه المقدسي لأعداد الجوامع قد لا يكون ادخل في حسابه جوامع القرى فهي كثيرة ايضاً (مصطفى، ج ٢، ١٩٨٨، ص١٨٧). ويكثر المقدسي من ذكر الجوامع وطرز بنائها كما هو الحال في ذكر المسجد الحرام والمسجد الاقصى وجامع سامراء ودمشق وغيرها، فيتكلم عنها بالتفصيل سواء من حيث مادة البناء والمساحة وعدد الاعمدة والزخرفة واماكن الوضوء والاضاءة (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٦٧). كما انه يذكر اعداد المصلين في بعض المواضع كما هو الحال في إقليم مصر فيقول " وسمعتهم يذكرون انه يصلي خلف الامام يوم الجمعة نحو عشرة الاف رجل فلم اصدق حتى خرجت مع المتسرعة الى سوق الطير فرأت الامر قريباً مما قالوا ، وابطيت يوماً عن السعي الى الجمعة فألفيت الصفوف في الاسواق على اكثر من الف ذراع من الجامع ، ورأيت القياسير والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين ، وهذا الجامع يسمى بالجامع السفلاني من عمل عمرو

بن العاص ، منبره حسن البناء وفي حيطانه شيء من الفسيفس على اعمدة رخام اكبر من جامع دمشق " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٦٦) .

٢ – **الاسواق:** كان السوق أحد اهتمامات المقدسي، فقد كان تنقله وترحاله الى البلاد المختلفة من اجل التجارة التي مكنته من ان يعطي وصفاً دقيقاً عن اسواق المدن التي يمر بها، قال عن مدينة جدة " عامرة واهلها اهل تجارات ويسار، اذ هي خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٨٨). لذلك يُعد السوق من معالم المدينة العربية الإسلامية المهمة، اذ يوجد فيه العديد من الانشطة التي يؤديها السكان، ويكون غالباً في وسط المدينة مجاوراً للمسجد، وقد يلتقي فيه جميع الطبقات اغنياء او فقراء، مثقفون وجهلة وغيرهم (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٦٧). توجد الاسواق في الارض الملاصقة للمدينة كما هو الحال في مدينة اطلخ احدى مدن كورة فرغانة في جانب هيطل بإقليم المشرق " فهي مدينة عظيمة تقارب القصبة في الرقعة، عليها حصن، واكثرها بساتين، والغالب على رستاقها الاعناب، والجامع في المدينة، والاسواق في الربض، وجموكث كبيرة عليها حصن، والجامع فيه والاسواق بالربض (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢١٨). وان اقليم جزيرة العرب كما يراها المقدسي امتاز بنشاط تجاري لا سيما مكة وميناء الجار وميناء جدة ومدن اليمن وعُمان والبحرين المتصل بتجارتها مع الجار والصين وجدة ومصر وفارس والهند، فاليمن يتاجر اهلها بالعصائب والرقيق والعقيق، وتجار عُمان تميزوا بتجارات آلات الصيادلة والعطر كله حتى الزعفران والمسك والساج والبقم والعاج والديباج (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٩٧). فالمقدسي يذكر في البداية الاسواق والجوامع معاً ويؤكد على اهميتهم في وسط المدينة، ويعد منهجه منهجاً اصيلاً في الجغرافية الاقليمية، وقد مزج بين وظائف الاسواق وبين التوزيع الجغرافي للمراكز العمرانية ضمن دراسة كل اقليم من الاقاليم (الكبيسي، ج ٢، ١٩٨٤، ص٦٦). اذ يذكر بأنه في مكة خطت الاسواق حول الكعبة، كما توجد بعض الاسواق قد سميت بالقيسارية في مدينة مِنى (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٨٣). اذاً فالمقدسي تمكن من ذكر اسواق كل مدينة كان يزورها وما يوجد فيه من اصحاب الحرف مثل الصفارين والوراقين والخياطين والقصابين فضلاً عن الاسواق الاخرى التي كانت تشكل اسواق ثانوية (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٦٧). فالأسواق العربية تمتاز بالتكتل اذ ان اصحاب البضائع كانوا يجتمعون في منطقة واحدة (حسين، ١٩٧٧، ص٢١).

٣ – **نظام الشوارع** : النظام المتبع في المدينة العربية هو نظام الشوارع المستقيمة سواء ان كانت لمعالجة الظروف المناخية او لسبب دفاعي او لغياب التخطيط ، وبسبب الظروف الصحراوية تمتاز اغلب الشوارع بالضيق وهذا يعني الاقلال من الاشعة الشمسية التي تصل الشوارع ، اذ يوجد العديد من الشوارع سواء الضيقة او الكبيرة التي يكون مرورها بالمراكز

الخدمية الكبرى مثل الجوامع ودار الامارة والسوق الى الشوارع الثانوية وثم الى شوارع المرتبة الثالثة وبعدها الى شوارع احادية المنفذ او ما يسمى بالزقاق الاعمى الذي يكون غالباً وظيفته دفاعية (الدليمي ، ٢٠٠٦ ، ص١٧١) . فالمقدسي كان يكثر من ذكر الشوارع في اثناء رحلته الى الاقاليم التي زارها، كما انه يذكر مساحتها وتفرعاتها والاسواق والجوامع التي تقع عليها، مثلاً ما يذكره عن بلخ في جانب خراسان فقال " بلخ في الاخلاق الجميلة والشجاعة، ... ثم انظر الى بهاء بلخ، وحسن موقعها، وسعة طرقها، وبهجة شوارعها "، كما انه يذكر مدينة اردبيل قصبة اذربيجان في اقليم الرحاب فيقول " عليها حصن منيع وهو أصغر من دبيل، اسواقه مصلّبة الى اربعة دروب " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٢٢٣- ٢٨٤).

٤ – الحمامات : يتفق مؤرخوا الفن والعمارة بصورة عامة على ان العمارة تتأثر بالعديد من المؤثرات الاساسية وهي الدين والمناخ والبيئة والعادات والتقاليد والعرف، وهذه المؤثرات لا تخرج عنها العمارة الاسلامية فهي انعكاس مباشر للقيم الدينية والمعايير التي تؤخذ من الشريعة الإسلامية، وقد تدور حياة المجتمع الإسلامي كلها في فلك الشريعة الإسلامية التي كانت تمثل الحياة القانونية لكل المسلمين من بداية عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى نهاية العصر العثماني عندما حلت القوانين الوضعية بدل الاحكام الشرعية (عثمان، ٢٠١٠، ص٣). وقد لعبت الحمامات الدور الاساسي في العصور الوسطى في حياة المجتمع الإسلامي، فالحمام يعد من العناصر الاساسية في اي مدينة إسلامية، وقد ورثت فكرتها من الحضارات السابقة وخصوصاً الحضارتين الرومانية واليونانية، لكن اختلفت الصياغة المعمارية للحمام الإسلامي عن الحمامات السابقة (عثمان، ١٩٨٨، ص٢٨٤). وقد ارتبطت اغلب الحمامات بالأوقاف، فكان عدد كبير منها وقفاً على المساجد والبيمارستانات والمدارس، وهي تحقق النظافة والطهارة، كما ان الحمامات تحقق دخل ثابت لجهة الوقف (المقريزي، ج ٣، ١٩٩٩، ص١٥٥). وقد اكثر المقدسي من ذكر الحمامات وذكر فيها اوصافاً متعددة تتفاوت ما بين المدح والذم ، فذكر اوصافاً عن حمامات الجيزة فقال (نظيفة، سرية، انيقة، حسنة، طيبة، وغيرها بكثير)، اما الاوصاف لحمامات مدينة القلزم فيذكر منها (رديه، زعاق، وحشة، ملوله)، وهذا تأكيد على ان الحمامات وذكرها مأخوذ من الشريعة الإسلامية والتأكيد على النظافة فضلاً عن اهم ركن من اركان الإسلام وهو الصلاة يتطلب الوضوء قبل كل صلاة والغسل، لذلك تعددت الحمامات في المدينة الإسلامية ما بين حمامات عامة وحمامات خاصة، غير ان العامة فيها كانت اكثر انتشاراً او هي تشكل احد العناصر الاساسية من عناصر التركيب الداخلي للمدينة العربية، وقد نجدها ملاصقة للجامع او السوق او تقع على اطراف المدينة، او على الطرق الرئيسية، ومن الاوصاف التي ذكرها

المقدسي بحسب المدن والاقاليم فيقول عن حمامات دمشق " لا ترى احسن من حماماتها ولا اعجب من فواراتها ولا احزم من اهلها " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٤٠).

٥ – الاسوار : تأثرت المدينة العربية الإسلامية بالعوامل المختلفة التي كانت سبباً في قيامها والتي اثرت في عناصر المدينة العربية الإسلامية وتخطيطها ، فالعامل الحربي قد جعل السور من اهم عناصر المدينة ، كما انه تطلب وجود نقاط ارتكاز تنزل فيها الجيوش الفاتحة ويجتمع فيها الجند ، ولتحقيق هذا الهدف وجّب ان تكون المدينة محصنة يمكن الانطلاق منها ويسّهل الدفاع عنها ، فتم احاطة المدينة بالأسوار المزودة بالبوابات الضخمة، واحياناً تصل الرغبة الى احاطتها بأكثر من سور فقد تحاط بسور او سورين (علوي، ١٩٩٣، ص٤– ٨). كما كانت احياناً تحفر حولها الخنادق التي تملأ بالماء في وقت الضرورة (الظاهري، ١٨٩٤، ص٤٥). فالمقدسي لم يذكر مدينة لا يوجد فيها سور الا غالباً، او وسيلة اخرى للدفاع عنها الا بعض المدن التي تكون من اساسها محصنة كأن يحيط بها نهراً مثلاً او تكون بين الجبال، وكان بناء الاسوار من الخشب او الحجار او الطين، وان هذه الاسوار كانت تحتوي على الابواب التي تؤدي الى داخل المدن وخارجها، كما كانت توجد القلاع والحصون والقهندزات الى جانب الاسوار والهدف منها هو الحماية ايضاً (الدليمي، ٢٠٠٦، ص١٦٩). وان العديد من المدن الإسلامية اثناء العهود الإسلامية كانت محصنة وكان لأغلبها قلاع خاصة بها، وقد ذكر المقدسي العديد من المدن التي كانت محصنة في الجزيرة العربية كمكة المكرمة فقال عنها " الخندق من نحو مكة عامرة الحصن مشرفة البقيع "، كما ذكر الحوراء " هي على ساحل خيبر لها حصن وربض " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٩٠– ٩٣).

٦ – البيمارستانات: كلمة البيمارستان اعجمية كانوا يطلقونها على مكان العلاج والاستشفاء الذي يسمى في الوقت الحاضر بالمستشفى (عثمان، ١٩٨٨، ص٢٤٩). وقد انشأت البيمارستانات لتوفير الخدمة الطبية والعلاجية لعامة الناس، وواكب النمو للمدينة الإسلامية انشاء البيمارستانات، فالمقدسي لم يكن غافلاً عن هذه الناحية فقد ذكر وجود البيمارستانات في بغداد " دار الامير، ... عند باب الطاق الى جانبه بيمارستان بناه عضد الدولة (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١١٠– ١١١). ولم يذكر في بقية الاقاليم وجود بيمارستانات الا نادراً، ولكن هذا لا يعني انه لا توجد بيمارستانات بها، ولكن يظهر بأن البيمارستان الذي بناه عضد الدولة كان على درجة كبيرة من الرقي والتطور فتكلم عنه المقدسي في اثناء حديثه عن الشام قال " وحمص المعروفة بالرخص وطيب الهواء، ... وبه معادن الرخام وعقاقير كل دواء، ولباقة وفقهاء وكتاب وصناع واطباء " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٣٦). وهذا يؤكد بأنه توجد العديد من البيمارستانات في بلاد الشام.

٧ – دار الامارة : تُعد دار الامارة من المعالم المهمة التي صاحبت انشاء المدن الإسلامية ، وكانت مواجهة للمسجد الجامع ، ومساكن الجند غالباً تحيط بها وبالمسجد ، وسميت هذه المساكن بالخطط او القطائع او الحارات ، وكان السبب من احاطة مساكن الجند لدار الامارة لتحقيق الاستقرار لحكمهم وتأمين حكام المسلمين ، ففي اول الامر كانت دار الامارة تتدرج بالبساطة ثم الى الفخامة وخصوصاً بعدما تعددت دول الإسلام وتنافس الحكام في البناء ، واصبح لها اسماء اخرى تميزها عن المباني الاخرى ، مثلما عرفت قاهرة الفاطميين بالقصور الزاهدة (ماجد ، ١٩٧٣ ، ص١٠١) . وجاء ذكر دار الامارة وربط بها بيت المال على اعتبار ان بيت المال يعد جزءاً من دار الامارة في مرويات المقدسي اثناء حديثه عن مدينة دمشق عندما كانت حاضرة الدولة في عهد بني امية اذ ذكر بأن بيت المال يقع الى الميمنة من حصن الجامع الاموي، ويقوم على ثمانية عمد مرصعة حيطانه بالفسيفساء، وكل ما يوجد فيه من اموال تكون بعيدة على يد من تسّول له نفسه لسرقتها (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٤٠). فضلاً على انه اشار الى موارد بيت المال في عام ٢٣٢هـ / ٨٢٨ م اذ قال " ما يرتفع من الخراج والصدقات سوى الجبايات والحمايات من جميع المملكة فبلغ الفي ألف وثلاثمائة ألف وعشرين ألف ومائتين واربعة وستين ديناراً ونصفاً (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٨٠). ويبدو ان المقدسي اعتمد في كلامه هذا ما اورده قدامه بن جعفر الكاتب الذي تكلم عن موارد بيت المال في هذه السنة، كما تتبع بمروياته الضرائب التي كانت تستحصل من الملزمين عن طريق دفعها حرفيين وتجاراً ومزارعين وغيرهم، فقال " يؤخذ بجدة من كل حمل حنطة نصف دينار، ... كما ان المقدسي اطلع على بعض المصادر التي ذكرت موارد بيت المال ومنها كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة فرأى ان ابن خرداذبة قال " ان مقدار خراج اليمن ستمائة ألف دينار " (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١٠٢). وذكر بأن الخليفة المنصور أنفق على مدينة السلام اربعة الاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً وذلك لكون اجرة الاستاذ (العامل الماهر) كانت قيراطاً والروز كاري (العامل غير الماهر) حبتين (المقدسي، ٢٠٠٣، ص١١٢). كما وصف دار الامارة في اقليم فارس فقال " سينيز على نصف فرسخ من البحر مهربان، ... ودار الامارة متقابلة كثيرة القصور (المقدسي، ٢٠٠٣، ص٣١٥). وكذلك وصف دار الامارة في جانب هيطل فقال " وكش بلد كبير له مدينة وربض واخرى متصلة بالربض الداخلة مع قهندزها خراب والخارجة عامرة ودار الامارة خارج المدينة، ونسف يسمونها نخشب نفيسة لها قهندز خراب وربض عامر في مستواه والنهر يشقها، ودار الامارة على ضفته عند رأس القنطرة "، وصنف تونكث فقال " على جرف كبيرة عامرة، وهي قصبة ايلاف ومدنها عامرات تكون مثل نصف بنكث ولها قهندز ومدينة وربض ودار الامارة في القهندز " (المقدسي، ٢١٩– ٢٢٣). ان كل ما ذكره المقدسي يقدم نموذجاً

واضحاً لما افرده الجغرافيون العرب والمسلمون في مصنفاتهم من وصف عن العالم الإسلامي وما فيه من مدن. اذ تم ذكر كافة مرافقها وخططها وعمارتها واستعمالات الارض فيها. والتي تتطلب دراستها تناول كل ما ذكره من اوصاف بدقة من اجل استخلاص المعلومة من كلامهم. سواء في ذكر اماكن تواجد المدن او عمارتها او موقعها الجغرافي القاري او البحري.

ـ الاستنتاجات:

١ـ اكتسبت المنهجية التي اتبعها المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم وطريقة تقسيمه لأبواب الكتاب اصالة تميز بها، فهو يسير وفق خطة علمية مدروسة بدأت بذكر الهدف والدوافع التي ادت الى تأليف كتابه.

٢ـ من خلال تتبعه لمراحل نمو المدن الإسلامية الاولى وتطورها حدد الكثير من معالم الفكر المعماري في الإسلام والتعرف على اهم التحولات التي طرأت عليه.

٣ـ ذكر المقدسي بأن اهم ما يميز المدن الإسلامية الاولى هو مراعاة مجموعة من المعايير، اهمها العامل البيئي، فأختيرت مواقعها بعناية شديدة، اذ ذكر بأنه يتم اختطاط المسجد بعد اختيار موقع المدينة، وهو اول وحدة معمارية يتم بناءها داخل المدينة الإسلامية، وهو في الغالب يتوسط المدينة، تجاوره دار الامارة، ثم تتابع الوحدات المعمارية الاخرى في الظهور واحدة تلو الاخرى.

٤ـ اهتم المقدسي اهتماماً خاصاً بالمدن وترتيبها حسب الحجم والاهمية وتوزيعها على اقاليم المملكة، اذ التفت علماء الجغرافية العرب الى اختلاف وظائف المدينة ولذلك عمدوا الى تصنيف المدينة تبعاً لوظائفها وكان المقدسي سباقاً في هذا المجال حتى ان تصانيفه جاءت قبل قرون عديدة فيما ذهب اليه المحدثون امثال كرستالر.

٥ـ ابتكر المقدسي نظاماً خاصاً قسم بموجبه المدن الى أربع مراتب، فجعل الامصار هي مركز السلطان الاعظم والقصبة هي بمكانة الوزير ووظيفتها (عاصمة اقليمية) والمدينة مكانتها مكانة الفرسان في الجيش والقرية مثل المشاة والراجلة.

٦ـ التصنيف الذي اتبعه المقدسي يعد ابتكار خالص من قبله لم يسبقه اليه أحد استحق بموجبه اصالة وتفرد في هذا الحقل ابداع حُسب له دون غيره، ولم يظهر مثل هذا التصنيف الا عام ١٩٣٥ اي بعد انقضاء قرون طويلة عندما قدم كرستالر نظرية المكان المركزي اخذاً بنظر الاعتبار تجمعات المراكز الحضرية وفقاً لحجمها.

ـ المصادر باللغة العربية:

*العريش: تقع مدينة العريش في مصر العربية، فهي مدينة مصرية مطلة على البحر الابيض المتوسط، حيث تقع في شبه جزيرة سيناء.

*نهر جيحون: هو نهر امودايا حالياً وهو أكبر انهار وسط اسيا.

١- ابن خرداذبه، ابي القاسم عبد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، دار المدينة، مطبعة ليدن، ١٩٨٩.
٢- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ١٣، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٨١.
٣- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ١٥، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩.
٤- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج ١، الطبعة ١، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٩٥٤.
٥- البكري، ابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ج ٤، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.
٦- البكري، ابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ج ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.
٧- توني، يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤.
٨- حسين، عبد الرزاق عباس، جغرافية المدن، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٧.
٩- الخفاجي، عبد الزهرة جاسم، مدن المشرق الإسلامي (دراسة حضرية احصائية حتى نهاية القرن الثالث الهجري)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ١٩٩٥.
١٠- الدليمي، كمال عبد الله حسن، اصالة الجغرافية الاقليمية عند المقدسي، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦.
١١- الدليمي، مالك ومحمد العبيدي، التخطيط الحضري والمشكلات الانسانية، مطابع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.
١٢- الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: لجنة من علماء العربية، دار الفكر، لبنان ـ بيروت، ١٩٨١.
١٣- سحاب، عايد وسمي، العناصر الاساسية في تخطيط المدن العربية الاسلامية، مركز التخطيط الحضري والاقليمي للدراسات العليا، مجلة الآداب، العدد ١١٢، ٢٠١٥.
١٤- سوسة، احمد، الشريف الادريسي في الجغرافية العربية، ج ١، نقابة المهندسين العراقيين، مكتبة صبري، بغداد، ١٩٧٤.
١٥- عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٨.
١٦- عثمان، محمد عبد الستار، فقه العمارة بين البحث والتعليم، المؤتمر الدولي الاول للتراث العمراني في الدول الإسلامية ٢٣ ـ ٢٥ مايو، ٢٠١٠.
١٧- الفيل، محمد رشيد، إثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب، نشرة دورة رقم ٩، قسم الجغرافية، جامعة تكريت، ١٩٧٩.
١٨- الكبيسي، حمدان، الحياة الاقتصادية في عهود الازدهار الإسلامية، ج ٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٤.
١٩- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا، المعجم الديموغرافي متعدد اللغات، العراق، بغداد، الطبعة ٢، بدون سنة طبع.

٢٠- المدفعي، قحطان، تطوير تخطيط المدينة العربية، المؤتمر الاول لمنظمة الدول العربية، بيروت، ١٩٨٦.

٢١- مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج ١، الطبعة ١، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨.

٢٢- مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى نهاية العصر العثماني، ج ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٨.

٢٣- المقدسي، محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٣.

٢٤- المياح، علي محمد، مناهج الجغرافية الاقليمية عند العرب في التراث والمعاصرة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٤٠، ج ١، ١٩٨٩.

٢٥- نصار، امل هشام محمد، المقدسي البشاري (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ دراسة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية والادارية والعمرانية)، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ـ فلسطين، ٢٠٠٨.

٢٦- النصيبي، ابي القاسم بن حوقل، صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠.

٢٧- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، ج ٢، الطبعة ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣.

٢٨- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، ج ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣.

٢٩- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، ج ٤، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣.

References:

El- Arish: El-Arish is located in Arab Egypt, as it is an Egyptian city overlooking the Mediterranean Sea, as it is located in the Sinai Peninsula.

Gihon River: It is the Amudarya River today, and it is the largest river in Central Asia.

Ibn Khardathbeh, Abi Al-Qasim Abdullah bin Abdullah, the Paths and Kingdoms, Dar AlMadinah, Leiden Press, 1989.

Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram, Lisan al-Arab, part 13, House of Lisan al-Arab, Beirut, 1981.

Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram, Lisan al-Din al-Arab, part 15, House of Revival of Arab Heritage, Beirut 1999.

Al-Baghdadi, safi al-Din Abd al-Mu'min ibn Abd al-Haq, Observatories for checking the names of Places and the Bekaa, edited by: Ali Muhammad al-Bajawi, part 1, Edition 1, Dar al-Maarifa, Beirut – Lebanon 1954.

Al-Bakri, Abi Obeid Abdullah bin Abdul Aziz, dictionary of what he sought from the names of countries and places, edited by: Mustafa Al-Sakka, part 4, Alam Al-Kutub, Beirut, 1983.

Al-Bakri, Abi Obeid Abdullah bin Abdul Aziz, Dictionary of what was Asked of Names of Countries and Places, edited by: Mustafa Al-Sakka, Part 2, Alam Al-Kutub, Beirut, 1983.

Tony, Youssef, the Dictionary of Geographical Terms, Arab Thought House, Cairo, 1994.

Hussein Abdul Razzaq Abbas, Geography of Cities, Asaad Press, Baghdad, 1977.

Al-Khafaji, Abdul-Zahra Jassem, cities of the Islamic East (astatistical urban study until the end of the third century AH), MA thesis (unpublished), institute of Arab History and scientific Heritage, Baghdad, 1995.
Al-Dulaimi, Kamal Abdullah Hasan, Asala Regional Geography of Al-Maqdisi, PhD. thesis , college of Education , Al-Mustansiriya University , 2006 .
Al-Dulaimi, Malik and Muhammad Al-obaidi, Urban Planning and Humanitarian Problem, Dar Al-Hikma Press, Baghdad, 1990.
Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakar, Mukhtar As-sahah, investigation: a committee of Arab scholars, Dar Al-Fikr, Lebanon – Beirut, 1981.
Sahab, Ayed and Sami, Basic Elements in Planning Arab – Islamic Towns, Center for Urban and Regional Planning for Postgraduate Studies, AL-ADAB Journal, Issue 112, 2015.
Sousa, Ahmed, Al-Sharif Al-Idrisi in Arab Geography, Part 1, Iraqi Engineers Association, Sabri Library Baghdad, 1974.
Othman, Muhammad Abdul Sattar, the Islamic City, the world of Knowledge Series Kuwait, 1988.
Othman, Muhammad Abdul Sattar, the Jurisprudence of Architecture between Research and Education, the first International Conference on Architectural Heritage in Islamic countries May 23-25, 2010.
Al-Feel, Muhammad Rashid, the Impact of trade and Journey on the Development of geographical Knowledge among the Arabs, Periodical Bulletin No 9, Department of Geography, University of Tikrit 1979.
Al-Kubaisi, Hamdan, Economic Life in the Era of Islamic Prosperity Part 2, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1984.
Economic and Social Commission for Western Asia, Multilingual Demographic Dictionary Iraq, Baghdad, 2nd edition, without a year of reprint.
Al-Madfai Qahtan, Development of Arab City Planning, First Conference of the Organization of Arab States, Beirut, 1986.
Mustafa, Shakir, Al-Modon in Islam until the end of the Ottoman Era, Part 1, Edition 1, that Al-Salasil, Kuwait, 1988.
Mustafa, Shakir, Al-Modon in Islam until the end of the Ottoman Era, C2, that Al-Salasil, Kuwait, 1988.
Al-Maqdisi, Muhammad bin Ahmed, the Best Classifications in Knowing the Territories, Edition 1, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyya, Beirut Lebanon 2003.
Al-Mayah, Ali Muhammad, Regional Geographical Curricula for the Arabs in Heritage and Contemporary, Journal of the Iraqi Scientific Complex volume 40, C1, 1989.
Nasasar, Amal Hisham Muhammad, Al-Maqdisi Al-Bashari (the Best Classifications in Knowledge of Regions – Study in Economic, Social, Religious, Administrative and Urban Aspects), Master thesis college of Graduate Studies An-Najah National University, Nablus – Palestine, 2008.
Al-Nasibi, Abi Al-Qasim Bin Hawqal, the Image of the Earth, House of Life Library, Beirut, 1980.
Yaqut al-Hamwi, shihab al-Din Abu Abdullah, Mujam al-Buldan, Part 2, 3rd edition, Dar Sader, Beirut, 1993.
Yaqut al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah, Mu'jam al-Buldan, Part 3, Dar Sader, Beirut, 1993.
Yaqut al-Hamwi, Shihab al-Din Abu Abdullah, Mujam al-Buldan, Part 4, Dar Sader, Beirut, 1993.
H.A. RGIBB and J.H. Kramer's, shorter encyclopedia Leiden, E.J, 1974.